أبعاد السياسة الخارجيـــــة الليبية تجاه القارة الأفريقيـــــــــة

د. كمال سالم الشّكري ـ الأكاديمية الليبية للدّراسات العليا .

المقدمة :

إن الخوض في موضـــــوع السياسة الخارجية الليبية يواجه صعوبة تتمثل في نُدرة المعلومات والمراجع التي تهتم وتتناول الموضوع ، وعلى الرغم من صدور بعض البحوث والدّراسات عن الموضـــوع إلا أنها تكتنفها العديد من العيوب لعل أهمها عدم المصداقية والمبالغة ، فالكتابات الصّـــادرة في عهد النظام السابق غالباً ما تمجّـــد وتؤيد وتدعم سياســـة النظام تجاه أفريقيا ، كذلك معظمها تكرار لنفس المعلومات يصل إلى حد التطابق أحياناً، أما الدراسات التي جاءت في عهد ثورة 17 فبراير فإنها تنتقد وتهاجـــم هذا التوجه وتعتبره هدراً لإمكانيات وقدرات ليبيا ، دون انتظار مردود ملموس ومكاسب حقيقية .

ومع ذلك فإن المتابع للسياسة الخارجية الليبية سيلاحظ أنها مرت بثلاث مراحل رئيسية منذ الاستقلال سنة 1951م وحتى 2022م وهذه المراحل هي :

- مرحلة الحكم الملكي (1951 - 1969) .
- مرحلة حكم العقيد القذافي (1969 - 2011) .
- مرحلة ما بعد 17 فبراير 2011 - وحتى 2022 م.

لذا فإن السياسة الخارجية بشكل عام ، والسياسة الخارجية الليبية تجاه افريقيا بشـــكل خاص تمثل ما يسعى صانع القرار لتحقيقه من أهـــداف وما يتصوّر لدولته أن تلعبه من أدوار من خلال توجه رئيس يتبعه في سياسته الخارجية .

وتأتي أهمية هذه الدراسة من خلال التركيز على دراسة التوجه الليبي نحو القارة الأفريقية ، وما يعكسه من تغير في الأدوات لتحقيق مجموعة من الأهداف يسعى صانع القرار لتحقيقها .

فالدراسة تحاول الإجابة عن تســـاؤل رئيس يتمحور في (ما هي أهداف السياسة الخارجية الليبية من التوجه نحو القارة الأفريقية ؟ وما هي الأدوات التي استخدمتها والأدوار التي لعبتها لتحقيق هذه الأهداف؟).

وتعتمد الدراسة على المنهج التاريخي للرجوع إلى الفترات التاريخية السابقة ، كذلك تستعين بالمنهج الوصفي التحليلي لوصف وتحليل الأحداث والوقائع ، وأخيراً المنهج المقارن للمقارنة بين الأنظمة السياسية المختلفة التي حكمت ليبيا وتوضيح أوجه التشابه والاختلاف فيما بينها تجاه القارة الأفريقية .

وعليه فإن هذه الدراسة سوف تتعرض للمحاور التالية :

المحور الأول : توجهات السياسة الخارجية الليبية تجاه القارة الأفريقية .

المحور الثاني : أهداف السياسة الخارجية الليبية تجاه القارة الأفريقية .

المحور الثالث : أدوات السياسة الخارجية الليبية تجاه القارة الأفريقية .

المحور الأول ـ توجهات السياسة الخارجية الليبية تجاه القارة الأفريقية :

يقصد بالتوجه برنامج السياسة الخارجية ممثلاً في الطابع العام والخصائص الأساسية لسياسة الوحدة الدولية عبر فترة زمنية طويلة نسبياً ، (1)

وبالنظر إلى السياسة الخارجية الليبية تجاه القارة الأفريقية ، فقد اختارت التوجه الإقليمي من خلال الاهتمام بالدول الموجودة في الرقعة الجغرافية المحيطة بها ، إلا أن هذا التوجه الإقليمي كان في عهد المملكة الليبية توجهاً لا تدخلي انعزالي ، بينما تغير في عهد القذافي إلى توجه تدخلي يحاول التأثير في سياسات الدول الأفريقية من خلال التأثير في تركيبة السلطة السياسية القائمة فيها ، ليعود التوجه الانعزالي وغير التدخلي ليكون الطابع العام للسياسة الخارجية الليبية بعد ثورة 17 فبراير .

تعد ليبيا من أوائل الدول العربية التي أدركت أهمية القارة الأفريقية وما تمثله من عمق إستراتيجي للأمن القومي ، إلا أن السياسة الخارجية الليبية قبل 1969م ، كانت سياسة تقليدية ، نظراً لتأثرها بعده متغيرات وعوامل جعلتها تقتصر على المعاملات التقليدية ، فكانت متأثرة ببيئتها الداخلية والإقليمية والدولية ، إذ أن ليبيا بعد استقلالها عام 1951م أصبحت مكبلة بالعديد من الاتفاقيات التي فرضت وجود قواعد أجنبية على الأراضي الليبية ، كما أن البـــلاد كانت تعاني من الفقر قبل اكتشاف النفط والبدء في بيعه أوائل ستينات القرن الماضي ، والاقتصاد الليبي كان متدهوراً نتيجة هيمنة القوى الخارجية على أغلب موارد البلاد الضعيفة والقليلة أصلاً كل ذلك كان له تأثير سلبي على السياسة الخارجية الليبية .(2)

ومع ذلك فقد كانت السياسة الخارجية الليبية تجاه أفريقيا في عهد المملكة الليبية ، تقوم على حسن الجوار والاحترام المتبادل ، وبالتالي لم تشهد العلاقات أي اشتباكات دبلوماسية أو عسكرية ، بل بالعكس تميزت بنشاطها الدبلوماسي الفاعل ، من خلال

المشاركة الفاعلة في المؤتمرات والمباحثات التي تخص الشؤون الأفريقية ، فليبيا عضو مؤسس لمنظمة الوحدة الأفريقية ، وبالتالي فقد كانت الزيارات واستقبال الرؤساء الأفارقة ، وتبادل السّفراء ، كذلك حضور المؤتمرات والمشاركة بفاعلية في كل اللجان المشكلة في الفترة من 1958م إلى 1963م أمر اعتيادي ، والتي كانت تهدف لتأسيس منظمة الوحدة الأفريقية .

وبعد انتهاء نظام الملك وسقوط المملكة في سبتمبر 1969م ، زاد اهتمام السياسة الخارجية الليبية بالقارة الأفريقية ، وذلك انطلاقاً من الأهداف التي أعلنتها الثورة ، وفي محاولة لتقليد السياسة الخارجية المصرية ، وتتبع نهج عبد الناصر ، ولعب دوره داخل القارة الأفريقية ، وقد اتخذ هذا الاهتمام طريقين ، كان الأول عن طريق التعاون مع منظمة الوحدة الأفريقية ، أما الثاني فكان عن طريق التعاون وتطوير وتعميق العلاقات الثنائية مع دول القارة .

وساعد على نجاح هذه السياسة ، الاهتمام الذي أبده النظام السابق بالقارة الأفريقية من خلال البعد الثقافي والديني والنضال المشترك بين الليبيين والأفارقة ، وكان أهم ما يميز السياسة الخارجية الليبية دعمها لحركات التحرر، ومقاومة الميز العنصري ، ومواجهة التغلغل الصهيوني ، والدعوة إلى استقلال القارة وعدم الاعتماد على الأجنبي في القيام بعمليات التنمية (3)

كل هذه الشعارات والأهداف جعلت الدول الأفريقية تتفاعل معها وتقيم علاقات ودية مع الدولة الليبية ، إلا أن ذلك لم يستمر طويلاً ، فسياسة ليبيا التدخلية أثارت خوف وشكوك الأفارقة خصوصاً بعد حرب ليبيا مع تشاد وإرسال قوات ليبية إلى أوغندا ، والتدخل بإرسال الأسلحة ودعم الحركات الانفصالية والمعارضة للحكومات الشرعية في دولهم ، واستمر هذا الحال إلى أواخر الثمانينات من القرن الماضي لتدخل ليبيا تحت طائلة العقوبات الدولية بعد إدانتها بتفجير طائرة بان أمريكان فوق بلدة لوكربي الاسكتلندية ، لتدخل الدبلوماسية الليبية في أفريقيا مرحلة من الجمود والعزلة بسبب الحصار وحظر الطيران ، إلا أن المواقف الشجاعة التي اتخذها الزعماء الأفارقة تجاه قضية لوكربي ، وما أعقبها من حظر دولي على ليبيا كانت السبب الرئيس في التحول الليبي لأفريقيا ، فقد اتخذت القمة الأفريقية المنعقدة في واغادوغو شهر يونيو 1998م موقفها الداعم لليبيا ، بتحذيرهم من مغبة الاستمرار في فرض الحصار الدولي على ليبيا ، وفي الموعد المحدد للقمة خرق الرؤساء الأفارقة قانون العقوبات والحظر الجوي الذي كان مفروض على ليبيا ووصلوا طرابلس بطائراتهم معلنين رفضهم للحظر الجوي

المفروض عليها من قبل الدول الغربية ، حيث إن مثل هذه المواقف لم تستطع أو لم ترد الدول العربية أن تفعلها ، بل إنها التزمت بتطبيق فرار العقوبات الدولي على ليبيا .
وكانت قمة ســـــرت الأفريقية الاستثنائية في سبتمبر 1999م قد شكلت منعطفاً استراتيجياً مهماً في مسار هذه السياسة ، حيث حسمت هذه القمة الخيار الأفريقي لمعمر القذافي الذي أعلن إطلاق مشروع الاتحاد الأفريقي .

ومما تقدم ذكره نرى أن هذه الأسباب كانت كافية بأن تجعل التوجه الليبي إلى القارة الأفريقية ضرورة ملحة ، حيث يمكن لنا حصرها في خمس عوامل صاغت التحول الليبي الجديد في أفريقيا وهي كالتالي:-

1 ـ انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة ، وما مثله من بروز الولايات المتحدة الأمريكية كقطب أوحد لقيادة العالم .

2 ـ فشل السياسة الخارجية الليبية في بعدها العربي ، في تحقيق الأهداف التي كان يسعى القذافي لتحقيقها والمتمثلة في الوحدة العربية بعد سلسلة التجارب الوحدوية الفاشلة .

3 ـ تعامل الدول العربية مع العقوبات الدولية المفروضة على ليبيا ، مقارنةً بتعامل الدول الأفريقية ، وبالتالي كان رد فعل القذافي تجاه لامبالاة الدول العربية هو التوجه نحو أفريقيا بإنشاء أمانة (وزارة) للوحدة الأفريقية والتهديد بالانسحاب من الجامعة العربية .

4 ـ سيطرة فكرة التجمعات الكبرى والمجال الحيوي ، على فكر القذافي وهي ما أسماها الفضاءات ، وكان يطمح في أن يكون الفضاء الأفريقي كتلة اقتصادية وسياسية تضاهي الاتحاد الأوروبي وتتعامل معه على قدر من الندية .

5 . وأخيراً محاولة القذافي تحسين الصورة الذهنية لدى الأفارقة عن ليبيا ، خصوصاً بعد إدانتها بالإرهاب في عديد القضايا .

لذا كان التوجه إلى أفريقيا بسبب كل ما سبق ذكره .

المحور الثاني ـ أهداف السياسة الخارجية الليبية تجاه القارة الأفريقية :

تظل القارة الأفريقية هي المســـــرح الرئيس الذي تلعب فيه السياسة الخارجية الليبيـــــة دوراً فاعلاً ومؤثراً إزاء الأحداث ، لكون هذه الأحداث تؤثر فيها وتتأثر بها .

لذا فإن أهداف السياسة الخارجية تجاه أفريقيا للدولة الليبية ، لا تتعدى أهداف السياسة الخارجية لعموم البلدان تجاه الدول الأخرى في محيط البيئة الدولية ، ولهذا يمكننا إجمال أهم أهداف السياسة الخارجية لأي دولة في العموم ومنها ليبيا على النحو التالي : (4)

1 ـ حماية كيان الدولة وأمنها والنظام السياسي بها ، وهو هدف أساسي لأن ذلك يزيد من تأثيرها وفعاليتها على الصعيد الإقليمي والدولي .

2 ـ الدفاع عن أيديولوجيا الدولة والعمل على نشرها وترويجها في الخارج (5)، واستخدامها في عملية تعبئة الجماهير في الداخل وكسب الأنصار في الخارج مما يخلق ظروفاً مواتيه في البيئة الداخلية والخارجية ، تهدف من ورائها الدولة التي تتبنى تلك الايديولوجيا إلى تحقيق مصالح معينة لها ، حيث حاول النظام السابق نشر الفكر الجماهيري والتأثير في الأنظمة السياسية الأخرى من خلاله وطرحه كحل لمشاكل الشعوب في الحرية والديمقراطية .

3 ـ المساهمة في تحقيق الرفاهية الاقتصادية ، فكل الدول تسعى لتوفير مستوى معيشي أفضل لشعوبها ، فالثراء المادي عادةً ما ينظر إليه على أنه مؤثر لقوة الدولة ونفوذها في المجتمع الدولي ويزيد من هيبتها ، ولهذا أصبح البحث عن مصادر الثروة والحفاظ عليها هدفاً رئيسياً من أهداف السياسة الخارجية للدول جميعاً.

4 ـ تدعيم هيبة ومكانة الدولة في المجتمع الدولي ، فالسياسة الخارجية لأية دولة تهدف بالمحصلة إلى تدعيم هيبة ومكانة الدولة وخلق سمعة طيبة لها في المجتمع الدولي بما يعنيه ذلك من احترام شعاراتها والتجاوب مع أهدافها وأخذ وجهات نظرها بعين الاعتبار ، وزيادة مكانة الدولة في المجتمع الدولي بما يمكنها أن تساعد على تحقيق أهداف أخرى تسعى الدولة إلى تحقيقها .

بالإضافة إلى ما سبق من أهداف والتي تتبناها السياسة الخارجية الليبية ، إلا أن هناك أهدافاً أخرى أكثر خصوصية تجاه القارة الأفريقية وتتمثل هذه الأهداف بالتالي :

1 ـ لعب دور إقليمي مؤثر في أفريقيا : حيث يعرف الدور بأنه أحد مكونات هذه السياسة ، وهو ينصرف إلى الوظيفة الرئيسية التي تقوم بها الدولة في الخارج عبر فترة زمنية طويلة ، وذلك في سعيها لتحقيق أهداف سياستها الخارجية .(6)

فالدور الإقليمي لا ينشأ إلا عندما تسعى الدولة إلى القيام به ، بل بصياغة واعية له ، وهذا الهدف من الأهداف الثابتة والرئيسية في السياسة الخارجية لليبيا تجاه القارة الأفريقية لدى النظام السابق ، أما في عهد المملكة فلم يكن هناك أي طموح للعب دور إقليمي واقتصرت الأهداف تجاه أفريقيا في :

ـ مقاومة الاستعمار ودعم الشعوب الأفريقية للحصول على استقلالها من خلال المنظمات الدولية والإقليمية.

ـ احترام سيادة الدول وعدم التدخل في الشؤون الداخلية .

ـ دعم الثورة الجزائرية وحث الدول الأفريقية على دعمها والوقوف معها .
ـ الدعوة لحل المنازعات والخلافات بالطرق السلمية .

أما في عهد ثورة العقيد ولأسباب سبق ذكرها أصبحت الدائرة الأفريقية هي الدائرة الأولى في اهتمام السياسة الخارجية الليبية رغم اختلاف أساليب تحقيق الزعامة الإقليمية في أفريقيا حسب الظروف والمتغيرات الدولية المحيطة ، ففي مرحلة ما بعد الحرب الباردة سعت ليبيا لتحقيق هذا الهدف من خلال لعب دور فاعل وبارز في تسوية النزاعات في أفريقيا ، والقيام بمبادرات تجاه قضية تعزيز الوحدة الأفريقية ، ودعم التعاون في مختلف المجالات ، واتباع سياسة نشطة وفاعلة تجاه القضايا المتعلقة بالقارة الأفريقية (7) ، ومبررات ذلك ترجع للعلاقات الليبية الأفريقية القوية قوة الترابط الجغرافي الليبي الأفريقي ، والذي يجعل من ليبيا الواجهة الرئيسية لأفريقيا .

2 ـ مواجهة التغلغل الصهيوني في أفريقيا : كان لليبيا دورٌ بارزٌ في إقـــدام الدول الأفريقيـة على قطع علاقاتها مع إسرائيل ، ولاسيما بعد زيارة رؤساء الدول الأفريقية إلى ليبيا ، حيث تخوّف المســـؤولون الصهاينة من وجود مخطط ليبي يهدف إلى عزل الكيان الصهيوني ، وتضيق الخناق حولها حتى يتم طردها من الدول الأفريقية ، حيث قطعت خمس دول أفريقية علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل سنة 1972م لتستمر جهود ليبيا في هذا السياق ليكون شهر أكتوبر 1973م شاهـــداً على قطع جميع الدول الأفريقية وعددها إحـــدى وثلاثـــون دولة علاقاتها مع الكيان الصهيوني (8)

3 ـ مقاومة النفوذ الأجنبـــــي : إن لعب دور إقليمي ليبي في إفريقيا يعني زيادة نفوذها في القارة ن وهو ما يتناقض مع توجهات ومصالح الدول الغربية ، التي تعتبر القارة منطقة نفوذ تاريخي لها ، إضافة لوجود الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا والهند والصين وتركيا ، وجميعها لها مصالح خصوصاً فرنسا التي تقاوم القومية الأفريقية ، التي تعمل السياسة الليبية على إحيائها ، هذا الأمر حتّـــم على ليبيا انتهاج سياسة مرنة في التعاطي مع القوى الكبرى التي لها مصالح في أفريقيا انطوت على جملة من الخطوات تقوم على التنسيق في بعض السياسات والمواقف المتعلقة بالشأن الأفريقي وظفتها ليبيا بلا شك في خدمة مصالحها وجني مكاسب سياسية من الدول الغربية ، إلا أن الموقف المبدئي يقوم على رفض تدخل الغرب في إفريقيا ، وتأكيد الهوية والقومية الأفريقية والعمل على منع القوى العالمية من تشكيل خارطة أفريقيا في ظل العولمة ، مستندة في ذلك على توافق ليبي إفريقي بشأن رفض الاستعمار الجديد بشتى صـــوره

، وعدم الرهان على الغرب في إحداث التنمية وفي المقابل يمكن استخدام الثروات الأفريقية لتحقيق التنمية في إطار الاعتماد على الذات .(9)

فقد أعلنت القيادة الليبية تحفظها على تدخل وحدات من الجيش الفرنسي في إفريقيا الوسطى وساحل العاج ، وعملت ليبيا على عرقلة مشروع إقامة قاعدة للأفريكوم في دولة أفريقية أعلن عنها الرئيس الأمريكي جورج بوش 2007م ، وأكّـــد أن دور هذه القـــوّة وقيادتها تقـــوية روابط التعاون والأمـــن مع الدّول الأفريقيـــة ، وخلق فرص جديدة للشراكة مع تلك الدول ونشر الديمقراطية وحقوق الإنسان ومحاربة الإرهاب (10)

غير أن ليبيا كشفت الأسباب الحقيقية لإنشاء (أفريكوم) المتمثلة في السيطرة على النفط الأفريقي ، وتحجيم الدور الصيني في القارة ، وقادت ليبيا حملة دبلوماسية مكثفة مع الدول الأفريقية لحثها على عدم قبول استضافة هذه القاعدة العسكرية على أراضيها .

4 ـ تعزيز المصالح الاقتصادية : سعت ليبيا إلى تعزيز مصالحها الاقتصادية مع الدول الأفريقية ، لتحقيق عدد من الأهداف منها ، استثمار الثروات والموارد الأفريقية والقوة العاملة البشرية ، وتسخيرها لمنفعة شعوب القارة في إطار نظام المشاركة الاقتصادية ومنافسة الاستثمارات الأجنبية التي تستغل وتحتكر خيرات القارة وتعمل على نهبها ، وقامت ليبيا بتنشيط الحركة الاقتصادية في البلدان الأفريقية على أسس وطنية تخدم مصالح الاقتصاد الوطني وتحرره من نفوذ المصارف الاحتكارية بفعل المصارف الليبية الأفريقية المشتركة ، واتجهت إلى تنمية الإنتاج الزراعي والحيواني وتطوير المنتجات الزراعية في أغلب الدول الأفريقية عن طريق دعم الشركات الزراعية المشتركة ، كما عملت على النهوض بالقطاع الصناعي ، خاصةً فيما يتعلق بالصناعات التي تقوم على المواد الخام المحلية ، وذلك بهدف حمايتها من استغلال الشركات الأجنبية المتعددة الجنسيات . (11)

5 ـ دعـــم التّـــواجـــد العربي والإسلامـــي : لعبت ليبيا دوراً كبيراً في دعم التوجه العربي والإسلامي في أفريقيا ، عن طريق إنشاء جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، والتي تتولى مهام كثيرة منها إنشاء المراكز الإسلامية والمساجد والمدارس القرآنية ، بهدف نشر اللغة العربية والتعاليم الإسلامية ، والوقوف أمام الحملات التبشيرية ، من خلال إرسال الدعاة والمدرسين وتوفير المستلزمات التي تتطلبها المراكز الإسلامية ، بالإضافة إلى استقبال الطلاب الأفارقة لتدريسهم في ليبيا ، وتنظيم

المخيمات الشبابية للشباب المسلم ، وتسيير قوافل طبية دعوية إنسانية بهدف الوصول إلى أكبر عدد من الأفارقة .

6 . تحقيق الوحدة الأفريقية : تعتبر مسألة تحقيق الوحدة الأفريقية من أبرز الأهداف التي سعت ليبيا لتحقيقها بعد انتهاء الحرب الباردة ، خصوصاً أن القيادة وجدت فيها تعويضاً عن فشل التجارب الوحدوية العربية ، فقد ركز القذافي في هذه الفترة على تكوين فضاء أفريقي يكون نداً للاتحاد الأوروبي وغيره من المنظمات الإقليمية ، لأن العصر حسب قوله عصر فضاءات وكتل ولن تستطيع الدول الصغيرة لوحدها الحفاظ على استقلالها وتأمين مصالحها .

وكانت البداية بتجمع دول الساحل والصحراء ، ذلك الجسم الاقتصادي والذي كان خطوة نحو توحيد القارة لتأتي بعد ذلك دعوة ليبيا لمؤتمر سرت الاستثنائي في 9 سبتمبر1999 م ، لإعلان فكرة قيام الاتحاد الأفريقي وطرح المبادرة على الدول الأفريقية . (12)

المحور الثالث ـ أدوات السياسة الخارجية الليبية تجاه القارة الأفريقية :

استخدمت ليبيا في سياستها الخارجية تجاه أفريقيا مجموعة من الأدوات لتحقيق أهدافها ، وهي ذاتها أدوات المبادرات والاستجابات التي تتخذ منها وسيلة لتفعيل سياستها الخارجية وللتوضيح سنذكر هذه الأدوات بشـــيء من التفصيل وهي : ـ

1 ـ الأدوات السياســـــية : تعتبر الأدوات السياسية من أبـــرز وأهـــم أدوات تنفيذ السياسة الخارجية في مختلف الأوقات والظروف وتتعدد أشكالها من ، نشاط رؤساء الدول والحكومات إلى وزارات الخارجية بكامل كوادرها من خلال قيامهم بالمباحثات والمراسلات والتمثيل اليومي (13)

استخدمت ليبيا الوسائل السياسية والدبلوماسية منذ بداية تكوين الدولة ، ففي عهد المملكة شاركت ليبيا في عديد اللقاءات والمؤتمرات من أجل تأسيس منظمة الوحدة الأفريقية ، كذلك شاركت في تشكيل تجمّـــع الدار البيضاء الذي يســـعى لمحاربة العنصرية ودعـــم حركات التحرر وعلى رأسها جبهة التحرير الجزائرية ، كما قامت ليبيا بمشاورات لتأسيس اتحاد شمال أفريقيا بدعم من أمريكا للوقوف في وجه انتشار الشيوعية .

زادت كثافة العلاقات الدبلوماسية بعد وصول معمر القذافي إلى السلطة ، فقد ركز على إقامة علاقات مع معظم الدول الأفريقية ، إلا أن هذه العلاقات لم تكن دائماً في مسارها السلمي ، فقد شهدت نوعاً من التقلب وعدم الثبات وصلت إلى إعلان

العـــداء لبعض الأنظمة ودعم حركات المعارضة فيها ، واستقبال قـــادة المعارضة والتواصل معهم وتقديم الدعم لهم .

ودولـــــة ليبيا بعد انتهاء الحرب الباردة ، استخدمت بفاعليـــة الأدوات السياسية في سياستها الخارجيـــــــة تجاه أفريقيا على المســـتوى الثنائي والجماعي واضعة جُملة من الأهـــداف والمصالح على رأس قائمة المهام الدبلوماسية ، مكرّسة الدعـــم المادي والسياسي الكامل من أجل تحقيقها ، إذ ركزت في المستوى الثنائي على توسيع مجال العلاقات الدبلوماسية والسياسية مع الدول الأفريقية ، بالتوسع في فتح سفارات وقنصليات لها في معظم الدول الأفريقية ، ورفـــع مستوى التمثيل الدبلوماسي معها ، أما على الصعيد الجماعي فقد عملت ليبيا على تفعيل الأطر والمؤسسات ذات الطابع الجماعي وتوظيفها ضمن الأدوات التي تستخدمها السياسة الخارجية الليبية في تنفيذ سياستها تجاه أفريقيا ، فقد لعبت دوراً كبيراً في تحويل منظمة الوحدة الأفريقية إلى الاتحاد الأفريقي ، وسبق ذلك إنشاء تجمع إقليمي أطلق عليه تجمع دول الساحل والصحراء ، ومن خلال هذه الأطر استطاعت ليبيا رسم دور سياسي جديد لها في أفريقيا ، مكنها من لعب دور فاعل في القارة ، والتدخل لحل العديد من النزاعات فيها وحققت نتائج جيدة على كلّ الأصعدة .

إلا أن كل هذه الإنجازات ذهبت أدراج الرياح بعد عام 2011م حيث انكمش الـــدور الليبي في أفريقيا إلى أبعد حد ولم تعـــد ليبيا دائمة الحضور في المحافل الأفريقية ، ولم تستثمر كل الرصيد السابق لليبيا وعلاقاتها بالدول الأفريقية ، بل بالعكس أصبح الحضور شرفي ومراسمي ، واقتصرت العلاقات على بعض الزيارات للدول الأفريقية ذات الحدود المشتركة مع ليبيا لتعزيز التعاون بين البلدين في الجوانب الأمنية ، مع ملاحظة زيادة التمثيل الدبلوماسي في القارة دون أي فاعلية تذكر أو يعول عليها .

2 ـ الأدوات الاقتصاديـــــة : تعتمد الأدوات الاقتصادية التي تستخدمها الدولة لتحقيق أهداف سياستها الخارجية على حجم الموارد والإمكانيات المتاحة للدولة ، كما تعتمد على مدى حاجة الدول الأخرى لتلك الموارد والإمكانيات الاقتصادية .

ففي عهد المملكة الليبية لم تكن هذه الموارد والإمكانيات الاقتصادية متاحة وهذا انعكس سلباً على السياسة الخارجية في تلك الحقبة .

بينما حقق ارتفاع أسعار النفط وزيادة العوائد المالية في مطلع السبعينات من القرن الماضي دعماً لنجـــاح سياسة ليبيا الخارجية في أفريقيا ، حيث استخدمت ليبيا هذه العوائد بشكل مكثف في علاقاتها بالدول الأفريقية من أجل تحقيق أهدافها المتمثلة

في توثيق العلاقات معها ومساعدتها على تحرير وتعزيز إرادتها السياسية وقطع الطريق أمام محاولات القوى الكبرى الرامية إلى إضعافها أو الاستمرار في السيطرة على مقدراتها وثرواتها ، أو الاستفادة القصوى من مزايا التقارب السياسي والجغرافي للانعكاسات المباشرة على الجانب الأمني والاستقرار في المنطقة .(14)

لقد اعتمدت ليبيا على أسلوب المساعدات الاقتصادية في سياستها الخارجية مع الدول الأفريقية ، حيث انتهجت بعض الوسائل المحددة عند استخدامها للمساعدات الخارجية لهذه الدول مثل المعاهدات والاتفاقيات الاقتصادية والمحاضر الثنائية إضافة إلى تقديم القروض الميسرة والهبات ، والتي لعبت دوراً هاماً في دعم السياسة الليبية في القارة الأفريقية ، حيث يمكننا القول بأنه لا توجد دولة أفريقية لم تقم ليبيا بتوقيع اتفاق أو محضر يتعلق بمجالات التعاون معها ، والتي لا يسمح الوقت والمجال لذكرها وحصرها جميعاً.

وقد أدّت السياسات الاقتصادية التي انتهجتها ليبيا في أعقاب الحرب الباردة إلى بروزها كطرف مهم ضمن شبكة العلاقات الاقتصادية في المنطقة ، ونتيجة لذلك بدأت تساهم بأسلوب جديد وإيجابي في تطـــوير وتوســـيع قاعدة علاقاتها الاقتصادية مع الـــدّول الأفريقيـــة على شكل إعانات وقـــروض ميسرة ومساعدات نقدية وعينية ، ودعـــم الموازنات المالية لبعض الدول بهدف مساعدة القطاعات الاقتصادية الأساسية وإيجاد فرص عمل للآلاف من العمَّـــال ، مما ساعد على تقليل نسبة البطالة في البلدان الأفريقية التي ارتبطت بهذه الاتفاقيات ، وقد وظّفت ليبيا عـــدداً من المؤسسات التابعة لها لتنفيذ ذلك منها المصرف الأفريقي للتجارة والذي له عدة فـــروع في أغلب الدول الأفريقية ، والمصرف الليبي الخارجي ، وذلك لتقديم القروض والتسهيلات المالية للدول الأفريقية ، ومحفظة ليبيا في أفريقيا ، والتي تدير شبكة من الشركات الاستثمارية في عموم أفريقيا ، والتي بلغ عددها حوالي 235 شـــركة وتنشط في مجالات الزراعة والصناعة والاتصالات والسياحة ، كذلك البنك الإسلامي للتنمية والمصرف العربي للتنمية الأفريقية ، إلا أنه وبسبب أحداث 17 فبراير ، وتغيير النظام وما مـــرّت به البلاد من فوضى وانقسام تسبّب في خســـــارة وضياع جُـــزء كبير من هذه الاستثمارات ، حيث تمّ نهب بعضها ، إضافة إلى تصفيه بعضها وبيعها بأسعار لا تعادل ربع ثمنها ، زد على ذلك الفساد الموجود في بعض الدول الأفريقية مكنها من وضع اليد على بعض الاستثمارات الليبية بحجج واهية .

3 ـ الأدوات العسكرية والأمنية : لقد شهدت القارة الأفريقية العديد من النزاعات والحروب الأهلية ولم تنظر ليبيا للدول الأفريقية على أنها مصدر من مصادر التهديد لها ، إلا إذا استخدمت من أطراف خارجية لها مصالح استعمارية في ليبيا .(15)

لقد استخدمت ليبيا الأداة العسكرية بطريقتين مختلفتين الأولى كانت للحرب بشكل مباشر مثل ما حدث في تشاد أو إرسال قوات لدعـــم أحد أطراف النزاع مثل أوغندا ، أو أنها استخدمتها بشكل غير مباشر من خلال دعم حركات التمرد والانفصاليين بالتسليح والتدريب .

وقد تغيّـر الحال بعد نهاية الحـــرب الباردة ، حيث استخدمت ليبيا الأداة العسكرية على شكل قوات لحفظ الأمن والسلم الدوليين ، كما هو الحال في افريقيا الوسطى ســـنة 2001م ، عندما استجابة ليبيا لنداء من حكومة أفريقيا الوسطى لمساعدتها في الحفاظ على الأمن وحماية المدنيين من المخاطر الناجمة عن تدهور الوضع الأمني ، حيث قامت القوات الليبية بمساعدة الرئيس (باتســـيه) لسحق الانقلاب والقضاء على المتمردين ، والمساعدة في فرض الأمن في العاصمة (بانغي) ، أو على شكل مجموعات مسلحة لمراقبة وقف إطلاق النار وتطبيق اتفاقيات السلام بين الدول الأفريقية كما هو الحال بين تشاد والســـودان ، أما الآن فإن الحكومات المتعاقبة اهتمت بالتواصل مع دول الجوار الأفريقي من أجل تفعيل الاتفاقيات الأمنية المتعلقة بمراقبة الحدود ومكافحة الهجرة غير القانونية ومحاربة الجماعات الإرهابية والجريمة المنظمة والتعاون وتبادل المعلومات والبيانات.

الخاتمـــة:

فـــي ختام هذه الدراسة التي اهتمت بالسياسة الخارجية الليبية تجاه أفريقيا ، من خـــلال التركيز على التّوجه ، والدور ، والأهداف ، والأدوات ، التي استخدمتها ليبيا في سياستها تجاه القـــارة ، ليتضـــح لنا أن السياسة الخارجيـــة الليبية تجاه أفريقيا اتّسمت بالمرونـــة وعدم الجمود ومحاولة التكيف مع الظـــروف الإقليمية والدولية ، إلا أن مرحلة ما بعد الحرب الباردة وظهـــور ما يسمّى بالنظام العالمي الجديد ، وانفراد أمريكا بزعامة العالم ، وتوجيه العقوبات الدولية لليبيا بعد اتهامها بقضية لوكربي ، جعل ليبيا تراجع سياستها الخارجية بشكل عام ، بناء على المعطيات الجديدة للنظام الدولي ، عليه فإن الدراسة توصلت للنتائج التالية :

1 ـ مثّـل انتهاء الحرب الباردة تضيقاً واضحاً للفرص ، ومضاعفة للقيود على اختيارات الخارجية الليبية في الساحة الدولية .

2 ـ إن الموقف الأفريقي الرافض للحصار الغربي ـ على عكس الموقف العربي ـ مثل أحد الدوافع الليبية إلى إعلاء الدائرة الأفريقية في سياسة ليبيا الخارجية .

3 ـ إن مرحلة ما يعرف بالتوجه الأفريقي في السياسة الخارجية الليبية ، استطاعت ليبيا من خلاله لعب دور فاعل بأهداف وأدوات لا تتصادم مع قواعد النظام الدولي الجديد .

4 ـ تسوية ليبيا لملفاتها العالقة مع الدول الغربية ، أدى إلى تحسين علاقاتها مع أمريكا والدول الأوروبية ، وهو ما ساعد السياسة الخارجية الليبية لتلعب دوراً أكثر نشاطاً في أفريقيا .

5 ـ إن وجود أهداف تتسق مع طبيعة النظام الدولي ، لم يمنع من استمرار وجود أهداف أساسية للسياسة الخارجية الليبية تجاه أفريقيا ، لها علاقة باحتياجات الأمن القومي لليبيا ومصالحها الاقتصادية .

التوصيات :

إن هذه التوصيات موجهة لصنّــاع السياسة الخارجية الليبية والقائمين عليها، وهي تتمثل فـــي :

1 ـ الاهتمام بالتوجه الأفريقـــي وإعطائه الأولوية في السياسة الخارجية الليبية ، لأنه خيار استراتيجي ويمثّــل مستقبلا أفضل للاستثمار والمصالح الاقتصادية والعلاقات السياسية .

2 ـ عدم النظر لهذا التوجه من منظور فكري أيديولوجي مرتبط بمعمر القذافي ، بل النظر بتعقل وموضوعية ، والاستفادة من الحضور والتواجد التاريخي الليبي في القارة كرصيد للبناء عليه والانطلاق منه .

3 ـ اختيار الدبلوماسيين المشهود لهم بالخبرة والقدرة والكفاءة للعمل بالدول والمنظمات الأفريقية ، للقيام بمتطلبات أعمالهم بأفضل وجه ، والحفاظ على مصالح ليبيا، وتحقيق أهدافها .

4 ـ الاستعانة بالأكاديميين والبحاث والمهتمين بالشأن الإفريقي لتقديم المشورة ، وتكليفهم بإعداد الدراسات والبحوث عن بعض القضايا المهمة ، مع فتح المجال أمامهم للحصول على المعلومات والاطلاع على الوثائق .

الهوامـــــــــش :

1- محمد السيد سليم ، تحليل السياسة الخارجية ، ط 2 ، دار الجبل ، بيروت ، 2001 . 37
2- فوزي تيم ، عطا محمد ، النظم السياسية العربية المعاصرة ،ط2 ، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر ، طرابلس ، 1426 .، 358)
3- كمال سالم الشكري ، العلاقات الأفريقية ـ الإسرائيلية ، دار الرأي للطباعة والنشر ، طرابلس ليبيا ، 2015 .، 163
منصور فرج الشـــكري ، عارف أحمد التير ، السياسة الخارجية الليبية في ضوء الأحادية القطبية ، مجلة جامعة ناصر الأممية ، العدد الرابع ، 2008 ، 2009 م .،و كمال سالم الشكري ، التغلغل الإسرائيلي في القارة الأفريقية ، دار الرأي للطباعة والنشر ، طرابلس ليبيا ، 2015.
4- محمد عوض الهزايمة ، (السياسة الخارجية الأردنية في النظرية والتطبيق) ، الأردن: جامعة العلوم التطبيقية 2004 .، 24)
5- مازن إسماعيل الرمضاني ، السياسة الخارجية دراسة نظرية ، دار الحكمة ، بغداد ، 1991. ، 336)
6- سليم ، 2003 ، 21)
7- نصر الدين ،1998، 325)
8- سليمان محمد منصور ، السياسة الخارجية الليبية تجاه القارة الأفريقية 1990 - 2000 م ط 1 ، مطابع الوحدة العربية ، الزاوية ، 2005 م 96)
9- محمد صالح عامر(التوجه الإفريقيّ للسياسة الخارجيَّة الليبيِّة)، رسالة ماجستير غير منشورة، بنغازي: أكاديمية الدراسات العليا.2008 .، 77)
10- فؤاد معمر، الأهداف الأمريكية في السيطرة على القارة الأفريقية ، سلسلة ملفات خاصة ، مركز الناطور للدراسات ، 2009 .، 2)
11- عبدالمجيد حليفة الكوت ، منظمة الاتحاد الأفريقي من منظور السياسة الخارجية الليبية ، الدار الجامعية للنشر والتوزيع ، غريان ليبيا ، 2008م ، 96 ، وعبدالمجيد حليفة الكوت ، السياسة الخارجية الليبية تجاه أفريقيا غير العربية منذ انتهاء الحرب الباردة ، الدار الجامعية للنشر والتوزيع ، غريان ليبيا ، 2008م ,
12- فتحي معتوق محمد ، المتغيرات السياسية الإقليمية والدولية وأثرها في السياسة الخارجية الليبية 1990 - 2003م ، مجلس الثقافة العام ، سرت ، 2008 ، 240
13- الدوري ، 1992 ، 7)
14- عمر العوكلي وآخـــرون (تأثير التوجهات السياسية لثورة الفاتح من سبتمبر على مجمل السياسة الدولية)، تقرير صادر عن اللجنة الشعبية العامة للاتصال الخارجي والتعاون الدولي.1994 .، 176)
15- سالم البرناوي ، السياسة الخارجية الليبية ـ دراسة نظرية ـ تطبيقية في المفاهيم والأهداف والعوامل والوسائل 1977 - 1997، مركز بحوث العلوم الاقتصادية ، بنغازي ليبيا ط1 ، 2000 . ، 402 .